المحاضرة الثامنة–الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1919)

ساهمت المتغيرات التي عرفها العالم والتطورات أثناء الحرب العالمية الأولى في تصاعد وتيرة النشاط النضالي بعد تراجع فرنسا في الكثير من قراراتها اتجاه الحركة الوطنية وزعمائها عشية الحرب العالمية الأولى، واستمرّ نشاط بعض الشخصيات السياسية في داخل تونس أو خارجها وكذا التحركات الجماهرية، ويمكن إيجاز الوضع خلال هذه الفترة فيما يلي:

أولا– الأوضاع الداخلية:

–اتباع فرنسا في تونس لنظام إداري بفرض حصار عسكري على كامل البلاد وتسخير فائض الإنتاج الزراعي والمواد الأولية لتزويد أسواق المتروبول، كما أعدّت فرنسا مشروعا يقوم على استعمار الأراضي بفتح قسط كبير من أراضي القبائل وأراضي الأوقاف وغيرها بدعوى أنها غير مستثمرة وهو ما أثار غضب الكثير من الفلاحين التونسيين،مما أدّى إلى تأزم الأوضاع وضعف القدرة الشرائية لدى التونسيين نتيجة ارتفاع مؤشرات الأسعار وتراجع الإنتاج الزراعي[1].

– قيام فرنسا بتجنيد إجباري لعدد كبير من التونسيين، فقد وفرت تونس لفرنسا فيما بين 1914 – 1919حوالي 80 ألف جندي،وقدر عدد الجنود التونسيين القتلى والمفقودين أثناء الحرب بـ 15 ألف، أي حوالي 20 % من المجندين [2].

–مساهمة الحرب العالمية الأولى في نشر الوعي التونسي ومحاولة الألمان والأتراك عن طريق الدعاية في جبهات القتال التونسيين ومطالبتهم على الحدود التونسية الليبية بمغادرة جبهات القتال وتركهم لمساندة فرنسا،فمن أصل 80000 مجنّد في المنطقة سجلت حالات فرار بأكثر من 400 مجند رفضوا الإنصياع لأوامر القيادة العسكرية،

–قيام انتفاضة الجنوب الشرقي 1915–1916: وجدت القبائل الفرصة مناسبة للتمرد على سلطة الحماية نظير انشغالها بالحرب في جبهات القتال، وتم دعوة شيوخ بعض القبائل في الجنوب إلى الانتفاضة وتمثل ذلك في انتفاضة وردانة ؛ عرش أولاد دباب والكراشوة وأولاد شهيدة والزرقان والعجاردة الذين تجنّدوا لضرب المراكز الحدودية والحاميات الخلفية باستعمال حرب العصابات، وقد تقدّم لقيادة الإنتفاضة سعيد بن عبد اللطيف وترجع هذه المقاومات إلى أسباب منها :– تأثر القبائل بدعوة السلطان العثماني للجهاد ضد الحلفاء – تراجع عوائد التجارة الصحراوية نتيجة الرسوم المفروضة بعد رسم الحدود التونسية الليبية، وقامت هذه الحركة بعمليات مشتركة مع القائد خليفة بن عسكر الناتولي ضدّ الحاميات العسكرية الفرنسية مستغلة انشغال القوات الفرنسية بالحرب الأوروبية وقيام عمليات عسكرية أبرزها معركةذهبية: سبتمبر 1915؛ ومعركة أم صويغ أكتوبر1915[3].

---

[1] . المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين،ص 42.

[2] . إضافة إلى حوالي 08 آلاف الى 10 ألاف من الجرحى والمشوهين، خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق،ص 83.

[3] . نور الدين الدقي، تونس من الأيالة إلى الجمهورية،ص ص 99- 100.

واستطاعت هذه الإنتفاضة المسلحة أن تحقق نتائج أولية : منها إرباك القيادة العسكرية وانشقاق عدد من المخازنية والتحاقهم بالمقاومة – غير أنّ القوات الفرنسية قامت بإنزال عسكري وتخصيص 15.000 جندي للقضاء على هذا التمرد وتطبيق سياسة الأرض المحروقة في المنطقة بإتلاف المحاصيل وتدمير القصور،واستعمال الطيران الحربي في ملاحقة المتمردين وانتهت هذه الإنتفاضة بالقمع العسكري[1].

-مراقبة السلطة الفرنسية لنشاط السياسيين وتحركاتهم فقد قامت باعتقال أحمد توفيق المدني في فيفري 1915 بتهمة إجراء مراسلة مع أقارب له مستقرّين باسطمبول،وتعليق قصيدة عدائية ضدّ الحلفاء على أبواب جامع الزيتونة، والشأن كذلك بالنسبة لحسين الجزيري المعروف بنزعاته العدائية لفرنسا [2].

ثانيا– الأوضاع الخارجية :

-نشاط السياسين في المنفى والمهجر بدعم من ألمانيا وتركيا،ومنهم الأخوين على ومحمدباش حانبه والشيوخ صالح الشريف، واسماعيل الصفايحي ومحمد الخضر حسين، في إطار حركة الجامعة الإسلامية، وبما وجدوه من دعم من طرف دول الحلف ألمانيا وتركيا ضد دول الحلفاء فرنسا وبريطانيا، وما كان له من صدى في تونس وكذا في التعريف بالقضية التونسية[3].

– التعاون الجزائري التونسي في المهجر وإنشاء "لجنة استقلال تونس والجزائر " ببرلين في نهاية 1916 برئاسة صالح الشريف ومشاركة شاب جزائري يدعى محمد مزيان التلمساني،كما تم إصدار نشريات منها نشرية بعنوان:"مطالب الشعب الجزائري التونسي "، ومجلة " المغرب" التي أسسها بجنيف محمد باش حانبه، وعدّة نشريات، وكذا التنسيق بين نشاط المغاربة في أوربا والقيام باتصالات ببعض القادة العرب بالمهجر[4].

-تقديم المطالب المعروفة بـ" الشعب التونسي الجزائري "إلى المؤتمر الثالث للقوميات المنعقد بمدينة لوزان – جوان 1916نددت فيه بنظام الإستعباد، والمطالبة بإقرار دستور لتونس والتي قدّمها مدير مجلة المغرب محمد باش حانبه، رجوعا إلى التقاليد التونسية قبل الحماية مع إعلان عهد الأمان لسنة 1857 ودستور 1861، وشكلت هذه المطالب تطورا في نشاط الشباب التونسي بالمهجر رغم التغيرات الطارئة في هرم السلطة الإستعمارية بتولي "جورج كليمونصو" و"ستيفان بيشون" المعروفين بأرائهما التحررية لرئاسة الوزراء ووزارة الشؤون الخارجية بفرنسا مع سنة 1917، حيث جاءت مطالب مجلة المغرب بشكل أكثر وضوحا مع التأكيد على منح تونس دستورا يكفل الكثير من الحريات منها :

---

[1] . كريّم وآخرون، موجز الحركة الوطنية التونسية ،ص 55.

[2]. الجزيري توسط للمدني من أجل نشر عددا من المقالات في جريدة الفاروق بالعاصمة الجزائرية. أنظر: المحجوبي،جذور الحركة الوطنية التونسية ،ص 163.

[3] . المرجع نفسه، ص207- 208.

[4] . لعل أبرزهم الأمير شكيب أرسلان 1896 -1946،الذي كان يدعم الفكر التحرري: الخليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق،ص83.

-ضمان الحقوق والحريات الفردية – الفصل بين السلطات – المساواة بين الجميع أمام القانون مع إلغاء القوانين الإستثنائية – إحداث مجلس تشريعي ومالي منتخب – تنظيم البلديات وأحداث مجالس بلدية وإقليمية منتخبة[1].

- قيام الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917 ،وماكان للحدث من صدى لدى الشباب التونسي مثل محمد نعمان وحسن القلاتي،ونشأة الإتحاد السوفياتي الذي اتبع سياسة خارجية تقوم على دعم الحركات التحررية بالمستعمرات مما فتح المجال أمام الشعوب المستمعرة للإستفادة من هذا الدعم وتوفير سند للنشطاء التونسيين الوطنيين من قبل الحركة الشيوعية العالمية عامة والفرنسية خاصة والعلم بمبادئ الأممية الشيوعية من خلال التنديد بالإستعمار من طرف الشعوب المستعمرة [2].

- الإعلان عن مبادئ ولسون الأربعة عشر في جانفي 1918 والتي تضمنت في إحدى نقاطها حق الشعوب في تقرير مصيرها، مما فتح المجال أمام الوطنيين التونسيين لتوظيف هذا المبدأ للدفاع عن القضية التونسية في الخارج.

ثالثا– تأثير الحرب العالمية على الوضع التونسي:

انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار فرنسا والحلفاء وهزيمة ألمانيا وسقوط الدولة العثمانية بعد اتفاقية سيفر مما أجبر القيادات الوطنية في تونس على تغيير استراتيجيتها في التعامل مع الأوضاع والمتغيرات الجديدة،حيث برز تيار متعاطف في صلب التونسيين مع حركة مقاومة الإحتلال الأجنبي التي تزعمها مصطفى كمال أتاتورك، ومنها مظاهرات 10 مارس 1920 أمام مقر الإقامة العامة بتونس احتجاجا على احتلال الجيوش البريطانية لاسطمبول[3].

-توجيه الهيئة الجزائرية التونسية برئاسة محمد باش حانبة مذكرة إلى مؤتمر الصلح المنعقد بباريس بفرنسا في جانفي 1919 للمطالبة بالإستقلال، ورسالة إلى الرئيس الأمريكي ولسون للمشاركة في مؤتمر فرساي باسم " الشعب الجزائري التونسي منددين بالسياسة الإستعمارية في الجزائر وتونس،ومطالبة مواطنيهم في البلدين بحق إيفاد مفوضين شرعيين لمؤتمر الصلح والدفاع عن قضيتهم[4].

مهد هذا النشاط في المهجر رغم العراقيل وانهزام دول المحور إلى تطور النشاط السياسي ومطالبه بما شكلته الحرب العالمية الأولى من مرحلة فارقة في تاريخ تونس، ومهدت لمرحلة جديدة من النشاط النضالي الذي تأثر برياح التغيير وتدعّم بتبلور للوعي بإنشاء حزب سياسي المعروف بالحزب الدستوري التونسي.

---

[1] .المحجوبي،جذور الحركة الوطنية،ص 155.

[2] . المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية ،بين الحربين مقاربة،ص 47.

[3] . عبد المجيد كريّم، موجز تاريخ الحركة الوطنية، ص 58- 59 .

[4] . المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية،ص 218.